

إذا كان للجنة مأوى فالعقل باب جنة المأوى، انه سراطها المستقيم ومحجتها البيضاء، سدرة منتهها وكوثر لبنها وعسلها. وإذا كان للجحيم هاوية فالجهل باب هاوية الجحيم، انه نار سقرها وصحراء تيهها، هو الصديد الذي نشربه فنزداد ظمأ والزقوم الذي نأكله فنتضور جوعا

قال تعالى مخاطبا العقل: وعزتي وجلالي وارتفاعي في اعلى علو مكاني ما خلقت شيئا اشرف منك، بك تبلغ المنازل العالية من اطاعك فقد اطاعني ومن عصاك فقد عصاني. وسئل النبي العربي عن اشرف المكتسبات التي يكتسبها الانسان فقال: ما اكتسب ابن آدم افضل من عقل يهديه الى حقيقة او يرده عن خطأ. العقل وزير رشيد وظهير سعيد من اطاعه انجاه ومن عصاه ارداه ولو صور العقل لاضاء معه الليل ولو صور الجهل لأظلم معه النهار.

والعقل يتجسد كلمة فمنذ البدء كان العقل نور الله الشعشعاني ومنذ البدء تجسد العقل كلمة. والكلمة تنطق او تكتب او تقرأ عندما تعلمها آدم سجدت له الملائكة وعندما قيل لمحمد في نار سراء اقرأ كرس محمد رسولا وعندما قال سقراط الخير هو معرفة والشر هو جهل وطلب من الانسان ان يعرف نفسه كرس سقراط فيلسوفا بالتعلم نال آدم السيادة واصبح خليفة الله على الارض وبالمعرفة نال سقراط المنزلة الشريفة وغدا فيلسوف الحقيقة على الارض وما نحن اليوم وكلما زاد الزمان في تطوره وارتقائه نسخر لنا الكمبيوتر على الارض والاقمار الصناعية في السماء، لبيئتنا فيضا من المعلومات وسيلا من الاخبار ترانا ننتكس حضاريا فننتشردم وغيرنا يتوحد، ونرتكس فكريا فنخرف وغيرنا يتمنطق ونصد عن الحقيقة كلما سنحت لنا ونغض الطرف عن رؤية انوار وجه المعرفة فلا الق عينها يجذبنا ولا ارتعاشة القلق على شفيتها يحرك اشواقنا.

:رحم الله شاعرنا المتنبى يوم قال

اسيرها يميناً او شمالاً

على قلق كأن الريح تحني

ليس طلب المعرفة قلقا فلا يطمئن الا الصنم ولا يستكين الا الميت. الحياة العاقلة ايها السادة هي قلق يرافقه سعي دائم الى التطور والارتقاء والتطور الذي يسلك مسلكا صائبا هو التطور الذي يتناغم مع قوانين الطبيعة وينسجم مع قوانين العقل لان هذا الوجود هو وجود غائي يتحرك من فوض الهولي باتجاه نظام المطلق من كثافة الجسد باتجاه لطافة النفس ومن عتمة المادة باتجاه انوار العقل الكلي الشامل الذي يضبط نظام هذا الكون فيعطي لكل سبب سببه ولكل نتيجة مقدماتها. فطوبى لمن قرعوا ابواب سماء عقولهم ففتح لهم ليدخلوا حرم الحقيقة المنطقية والبراهين العلمية. وطوبى للذين زادت جهنم حبهم للمعرفة اضطراما فأخذوا في نار سعيهم يتقلبون كمن انقلبت عليهم بردا وسلاما فارتوت عقولهم من كوثر المعرفة. لقد شربوا من خمرة الحقيقة حتى انتشوا ففتحت لهم ابواب الابداع وخرج منها من كل زوج بهيج ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

من نعم المعرفة على مريديها ان جعلت في قلوب محبيها شوقا من لذة ما ادركوا لطلب ما لم يدركوا فكانت حياتهم سعيا راغيا باتجاه المطلق وانجذابا دافئا باتجاه الكمال. سمعت معلما كبيرا يقول: اذا تشففت العلم غدا معرفة واذا تشففت المعرفة غدت عرفانا. والعرفان اتصال بالحقيقة المطلقة ووصول ووصال لا يعلم حلاوته الا الذين شربوا منه فاطمأنت به قلوبهم اولئك العرفانيون او رجال الاعراف اعطتهم الحقيقة نورا يمشون به في الناس وجعلت ذلك النور يسعر بين ايديهم في اقوالهم وافعالهم فاذا نطقوا ضاعت الكلمات

فوق شفاههم وعم نورها الجماعة واذا عملوا اثمر عملهم عدلا ومحبة اثمر انسانا حرا ومجتمعنا سعيدا. وفي محادثة لي جرت مع ذلك المعلم العارف في السبعينات سألته وانا في غرور عنفوان الشباب عن مواصفات المثقف وكيف يميزه عن غيره فاجابني وهو في تواضع حلم المعرفة ليس المثقف من يحمل الشهادات ويخزن في ذاكرته المعلومات الجزئية ويثغثغ مرة بالفرنسية ويرطن مرة بالانكليزية انما المثقف من يبني على بديهية ان الانسان كائن اجتماعي عاقل يحيا ويتطور بالتفاعل الايجابي مع الاخرين لمصلحة الوطن الكل الواحد وهذه المصلحة يجب ان تتسجم مع منطق العقل والا اصبحت عنصرية شوفينية. نحن اليوم اما ماديين نعتبر المادة هي البداية والنهاية وهذا يعود الى العبثية الانتهازية واللامعقول واما غيبين في روحانيتنا لا نعير واقع المادة والتطور ادنى اعتبار. الانسان المثقف هو ذلك الصراع الجدلي الدائم بين الواقع المادي الكثيف المركب المتطور والعقل في روحانيته البسيطة الشمولية الانسانية. وعدت لأسأله وما هي الطريق التي نسلكتها لنغدو مثقفين فأجاب: بداية الطريق قراءة ومطالعة واستماع وحوار تقدر به فكري بفكر الاخرين ووسطه بحوث تعتمد فيها على ما جمعه الاخرون من معلومات جزئية لتستنبت منها بعض الكليات وآخره خلق وابداع واتصال ووصال حيث يسقط الحجاب بين عقلك الجزئي والعقل الكلي فتراه متجليا على مرآة ذاتك الانسانية وترى صورة ذاتك متجلية على مرآة ذاته الكونية الالهية

يومها وصفت ذلك المعلم بقصيدة لا زلت اذكر منها هذه الابيات القليلة

عشيق القراءة فهي مكرمة له

والمكرمات قليلة العشاق

صديق القوافي فيه تسمو معارف

تزوج فكرا دون كتب صدا

ومن التأمل زاد صمت لسانه

ومن التواضع زاد في الاطراء

والان وبعد ان دارت بنا ادوار الاحباط واكملت نقطة بيكار تخاذلنا دائرة التفريط والافراط ماذا عسانا نقول ونحن نحتفل بيوم تشجيع المطالعة وتمجيد الكتاب. أنقول هو زمن رديء يمشي على رأسه ولا يمشي على قدميه، مثله الاعلى المسلسلات المكسيكية وقبلة انظاره العاصفة لا تهب مرتين. أم نقول لنحتفل بتقديم هدايا الخناجر والعبي المقصبة، ومالنا وللكتب فهي كماليات ونحن في عصر تفشف. وهي سلعة غير رائجة ونحن نعيش اقتصاد السوق، نبنى القصور ونخنفها بتحف الفضة والكريستال ولا نجد بقايا زاوية لبقايا كتب فالكاتب فأل نحس لقصورنا لانها تجتذب المثقفين والفئران فتحرم اصحابها من حكمة الكسب وتملأهم بشهوة المعرفة التي هي رجس من عمل الشيطان